

## الموضوع: نعمة الله

## برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة . كنا قد تحدثنا في اللقاء الماضي ، عن موضوع خلاص الله ، الذي أعلن للبشر جميعاً بواسطة المخلص يسوع المسيح . وتبين لنا أن المقصود بالخلاص هو الخلاص من عبودية الخطية ، والخلاص من الموت ، والخلاص من دينونة الله ، وأخيراً الخلاص الأبدي . وأنا نستطيع الحصول على هذا الخلاص بمجرد الإيمان بالمخلص المسيح . لكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : هل من المعقول أن يغفر الله خطايانا ويخلصنا بمجرد الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري ؟ وهل من الممكن أن يهبنا الله الخلاص هكذا من دون أي عمل نقوم به ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات ، لابد أن نؤكد هنا ، أن الخلاص هو عطية مجانية يقدمها الله لنا نحن البشر الخاطئة . ولذا يصبح من الممكن لا بل من المعقول ، أن يهبنا الله هذا الخلاص ، ومن دون أي عمل نقوم به . وهذه العطية المجانية نطلق عليها النعمة . ولهذا كتب الرسول بولس من رسل المسيحية قائلاً : " لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان . وذلك ليس منكم هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد . " (أفسس ٢: ٨ و٩) إذن إن الخلاص هو نعمة يهبها الله ، أو عطية مجانية يقدمها لنا . فما هو المقصود يا ترى بتعبير النعمة أو نعمة الله ؟ وماذا يجب على الإنسان أن يفعل لكي يحصل على هذه النعمة ؟

تعني كلمة النعمة العطية أو الهدية المجانية التي تقدم إلى شخص لا يستحقها . فهي ما أنعم عليه أو أهدق بدون استحقاق أو سبب . أي إنها الهدية التي تُعطى بدون أي عمل قام به الإنسان ، أو مقابل توقع أي عمل . إن الهدية التي يقدمها أحدهم إلى صديق له بمناسبة معينة ، أو إلى إنسان آخر لأنه أجزل له معروفا لا تعتبر نعمة . وكذلك إن الهدية التي تقدم لنا لقاء عمل قمنا به ، تُعتبر أجره لنا وليست نعمة بدون أي مقابل . لكن أن يقدم لي أحدهم مبلغاً كبيراً من المال ، أو شيئاً ثميناً ، ودون أن أكون مستحقاً له ، أو دون أن ينتظر مني شيئاً في المقابل ، فأحسانه هذا يعتبر نعمة وهبها لي .

على أساس هذا الشرح الوافي لمعنى كلمة النعمة ، نأتي لتعبير نعمة الله . فما هي نعمة الله ؟ إن نعمة الله هي أن يهب الله عطايه وبركاته الروحية السماوية ، إلينا نحن البشر الخاطئة ، بدون استحقاق أو توقع أي مقابل . إن نعمة الله هي هذه العطايا المجانية التي يقدمها الله لنا . كعطية الغفران وعطية الحياة الروحية الجديدة وهبة الخلود دون أن نستحقها ، ودون أن ينتظر منا أي

مقابل . حقا ما أعظم نعمة الله وما أدهش محبته . نعم لقد أحبنا الله بالرغم من أننا أناس خاطئة ، نفعل الشر يوميا ، ونحيا بعيدين عنه كل البعد ، لا بل نُعتبر أعداء له . وليس هذا فحسب ، بل هو مستعد أن ينعم علينا بكل عطايه الروحية ، بالرغم من عدم

استحقاقنا لذلك . ولهذا سُمي الإنجيل البشارة المفرحة ، سُمي أيضا ببشارة نعمة الله . أي البشارة التي تُعلن عطية الله المجانية، لنا نحن البشر الخطاة . ولقد كتب الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في مدينة رومية قائلا: " متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح . الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله . " (رومية ٣: ٢٤ و ٢٥) أجل لقد ظهرت محبة الله العظمى لنا نحن البشر الخطاة ، عندما أرسل كلمته الأزلي المخلص المسيح ، لكي يكفر عن ذنوبنا . ثم تجلّت نعمة الله باستعداده لكي يهب كل من يؤمن بالمخلص المسيح عطياه الروحية .

لعل السؤال الآن : كيف بنا نحصل على نعمة الله أو عطياه المجانية التي لا نستحقها ؟ للإجابة عن هذا السؤال الهام، علينا أن نعود إلى الآية المقدسة التي ذكرناها في بداية هذا اللقاء . عندما كتب الرسول بولس قائلا : " لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد . " يبدو واضحا من هذه الآية المقدسة ، أننا نحصل على نعمة الله وعطياه المجانية عن طريق الإيمان . أجل بالإيمان فقط . أما الإيمان المطلوب فهو كما نذكر دائما ، الإيمان القلبي بموت المسيح الكفاري على الصليب من أجل ذنوبي ، أي أنه أخذ العقاب عوضا عني . وثم الإيمان بقيامته المجيدة من بين الأموات . وهو الإيمان الذي تحدث عنه الرسول بولس في الآية التي اقتبسناها قبل قليل . عندما كتب كيف نتبرر مجاناً بنعمة الله ، عن طريق الإيمان بالفداء الذي قام به المخلص المسيح ، وعمله الكفاري بسفك دمه . إن هذا الإيمان، وهذا الإيمان فقط ، هو الذي يجعل الله يُغدق على الإنسان الخاطئ بنعمته بالخلال المجاني ، الذي لا يستحقه . ويُنعّم عليه بعطية الغفران وعطية الولادة الروحية الجديدة وهبة الخلود .

قد يقول قائل : إذا كان الأمر كله متعلقا بالإيمان ، فما هو دور الأعمال الصالحة ؟ وللجواب نقول : إن قيام الإنسان بأي عمل للحصول على خلاص الله أو غفرانه ، يجعله يبدو وكأنه يحاول دفع ثمن هذا الخلاص . وعندها طبعا لا نستطيع اعتبار عطية الله بالغفران هبة مجانية ، بل تكون أجرة لقاء ما فعله الإنسان . وهذا يتناقض مع مفهوم النعمة الذي تأملنا به، والذي هو عطية مجانية يقدمها الله للإنسان الخاطئ بغير استحقاق . وعلاوة على ذلك ، فإن الأعمال الصالحة ومهما كانت كبيرة وعظيمة ، فإنها لن تستطيع أن تزيل خطية واحدة إرتكبها الإنسان . إن الخطية تزول عندما يكفر الله عنها ، ولهذا السبب أرسل الله المخلص المسيح . وأيضا فإنه ليس صحيحا ما يظنه البعض ، أن لدى الله ميزانا يزين عليه أعمالنا الصالحة والشريرة . فيضع كل واحدة منها في كفة من الميزان . فإذا رجحت أعمالنا الصالحة على خطايانا ننال رحمة الله وغفرانه . إن الفرائض الدينية من صلاة وصوم ، والذهاب إلى أماكن العبادة وزيارة الأماكن المقدسة ، وأعمال الخير والإحسان ، وحتى تعذيب الجسد وقهر الشهوات ، كل هذه لا تؤهل الإنسان للحصول على غفران الله .

إن الحصول على خلاص الله وغفرانه لخطايانا ، يتم فقط عن طريق الإيمان بعمل الفداء والتكفير عن الخطية الذي قام به المخلص المسيح على الصليب . وعندها ينعم علينا الله بعطاياه الروحية كما ذكرنا قبل قليل . ومن جهة أخرى إن الأعمال الصالحة تأتي ، كنتيجة أو كثمر لخلاص الله الذي حصل عليه الإنسان . فالأعمال الصالحة هي دليل حي وملموس أن الإنسان الخاطئ قد اختبر فعلا خلاص الله وغفرانه . إن الإنسان عندما يأتي تائباً عن ذنوبه ، ومؤمناً بفداء المسيح لها ، لا يمنحه الله عطية الغفران فحسب ، بل يعطه أيضاً طبيعة روحية جديدة ، لكي يستطيع أن يسلك في طريق الصلاح والخير . أجل يا صديقي ، هل تعلم أن الإنسان الخاطئ عندما يأتي إلى الله تائباً ومؤمناً ، يقبل الله حياته رأساً على عقب . إذ يهبه الله قوة روحية لكي يبتعد عن أفعال الإثم والشر التي إعتاد عليها ، وليقوم بأعمال الصلاح .

إذن إن الأعمال الصالحة تأتي كنتيجة وثمر للخلاص ونعمة الله التي حصل عليها الإنسان . ولهذا تابع الرسول بولس كلامه ، بعد أن تحدث أننا بالنعمة مخلصون بالإيمان قائلاً : " لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدنا لنا لكي نسلك فيها." (أفسس ٢: ١٠) وهذا يؤكد أن الإنسان بطبيعته الساقطة لا يستطيع أن يقوم بأي عمل صالح لكي يرضي الله . لكنه بعد أن يختبر نعمة الله ، ويخلقه الله خليقة جديدة ، سيستطيع بواسطة روح الله القدوس الحال في كيانه ، أن يقوم بالأعمال الصالحة . والتي تهدف لإعطاء المجد لله ونعمته ، وليس للإنسان .

مستمعي العزيز ، إن الإنسان الذي لم يختبر نعمة الله وخلصه ، ولم ينل غفران الله لخطاياه ، هو إنسان مستعبد للخطية ، ولن تستطيع بالتالي أعماله الصالحة أن تبدل من هذه الحقيقة شيئاً .

أدما : ولهذا هو بحاجة أولاً لكي يختبر خلاص الله ونعمته، عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري. وعندها يغفر الله ذنوبه ، ويصبح إنساناً جديداً بكل معنى الكلمة . وفوق هذا يتأكد من نواله الخلود. ألا تتوق صديقي المستمع أن تحصل على عطايا الله المجانية هذه ؟ وأن تختبر نعمة الله العظمى ؟ لم لا تأتي إلى الله بالتوبة ولإيمان ، وتثق بالفداء الذي قام به المخلص المسيح على الصليب من أجلك .